التقديم :



https://nidaulhind.blogspot.com

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)



الملك شير شاه السوري
مؤسس الإدارة المدنية في الهند

د. أختر عالم[**]

{كان الملك شير شاه السوري من أعدل ملوك الهند، وأكبرهم صيتا وسمعة، إذ قدر على منح الهند وأهلها رغم قصر مدة حكومته مالم يمنحه غيره مع كون حكمه لمدة أطول بكثير، فقد حكمها خمسة أعوام فقط. وقد قدر له حظ وافر من المواهب والقدرات القيادية والسيادية التي مكنته من الاستيلاء على الهند والحكم عليها وكان أسس قواعد السلطنة بعد علاء الدين الخلجي، ومهدها لمن بعده من الملوك، ووضع قوانين متعددة للإدارة المدنية والإدارة العسكرية وإدارة العائدات من الأراضي، وللتجارة حتى أمكنه الحكم على الهند وفقا للقوانين والأنظمة، وكان فضل نظام عملة بثلاثة معادن يعود إليه، العملة التي صارت عملة قومية لعديد من البلاد حتى الآن، وكانت التجارة والصناعة قد راجت في زمن حكومته بسبب إبطال المكوس الكثيرة، وتوسيع شبكة الشوارع، وسيادة الأمن والسلام في كل مكان حتى يقال لو أن امرأة عجوزا مرت بالصحراء حاملة على رأسها سلة من الذهب لم يمد سارق أو قاطع طريق يده إليها، فاستطاع الملك أن يهيّئ في الهند جوا ملائما عاش فيه المسلمون والهندوس فرحين ومسرورين متكاتفين متعاونين.}

[**] محاضر ضيف، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

المبحث الأول: نبذة عن حياة شير شاه السوري

إن "سور"[1] اسم قبيلة من قبائل أفغانستان، ويطلق على من ينتمي إلى هذه القبيلة "سوري" نسبة إليها، وأتى إبراهيم خان السوري جد السلطان شير شاه السوري مهاجرا من أفغانستان إلى الهند في زمن السطان بهلول اللودي، واستقر بها، و قدم جمال خان مدير جونفور أباه حسن خان السوري بإقطاعي ساسارام وخواص فور في بيهار في زمن السطان سكندر اللودي بن السطان بهلول اللودي،[2] ومن هنا بدأ تاريخ الأسرة السورية في الهند وقد منحت الهند تطورات هائلة في مدة قصيرة. وبعد أن غربت شمس هذه الأسرة، تضاءل نور السلالة الحاكمة السورية وتم القضاء عليها سنة 1556م.

وكان اسمه الأصلي فريد خان بن حسن خان بن إبراهيم خان السوري. قد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادة شير شاه السوري، ورجح المؤرخ الشهير "كالكا رنجن"[3] في كتابه "Sher Shah and His Times" بعد بحث طويل أنه ولد سنة 1486م، كما جرى الخلاف في مكان ولادته فقيل إنه ولد في بِجْواره وقيل حصارفيروز، ولكن "كالكا رنجن" يقول إنه ولد في "نارنول"[4] وقد جاء ذكر أماكن أخرى كموضع لولادته في مقالات متعددة، منشورة في المواقع الإلكترونية، مثلا، هريانه[5](Haryana)، وساسارام في بيهار[6]. فنشأ في بيت أبيه، ولكن من سوء حظه أنه عانى من إساءات شديدة قامت بها زوجة أبيه حتى اضطر إلى ترك بيت أبيه واللجوء إلى جمال خان مدير جونفور في الثاني والعشرين من عمره.

وفي أثناء إقامته في جونفور أكب على العلوم والفنون حتى قرأ عديدا من الكتب الفارسية والعربية من غلستان وبوستان وسكندر نامه وكافية ابن الحاجب مع حواشيها، وأتقن كلتا اللغتين العربية والفارسية وحصل على علم التاريخ[7]، وقد اعترف المؤرخ كالكا رنجن بعلو كعبه في اللغتين العربية والفارسية مع أنه انتقد المؤرخين الذين جعلوه من عداد كبار علماء الهند، ويقول إن بعض المؤرخين جعلوا فريدا

الملك شيرشاه السوري.

مقبرة الملك شيرشاه السوري في ساسارام، الهند.

باب "موتي" لشيرشاه السوري.

(شيرشاه) عالما ونموذجا لحضارة جونفور العالية، ولكن ماذكر عن تعليمه لايخلو من شبه، وغاية الحقيقة أنه أتقن الأدب العربي والفارسي وطالع سير الأنبياء والتواريخ، ولانبالغ إن قلنا إنه كان ماهرا في علوم النحو والصرف للعربية والفارسية، فإن التمهر في قواعد اللغة العربية والفارسية ليس لعبة الصبيان يحتاج الإنسان إلى عقل وذهن قويين لفهم قواعد اللغتين وإتقانهما.[8]

تزوج فريد خان سنة 1508م في جونفور، وولد له أربعة أولاد، بنت وثلاثة بنين، أكبرهم عادل خان(1511م) وأوسطهم جلال خان (1515م) وأصغرهم قطب خان عبد الرشيد (1517م)، ولم أعثر على اسم ابنته إلا ما ذكر المؤرخ كالك ارنجن أنها ولدت في1513م، ومن الملاحظ، أن كالكا رنجن ذكر كلا من التواريخ، تواريخ ولادة أولاده وتاريخ زواجه، بالتخمين، لأنه لم يعثر على أي مصدر موثوق به.[9]

لقب شير خان:

يحكى أن فريد خان قتل أسدا بيده خلال حملة صيد مع السلطان محمد شاه النوهاني سلطان بيهار، فلقبه السلطان بـ"شير خان" فرحا بشجاعته وبسالته كما أنه عينه معلما لابنه الأصغر جلال خان[10]، هذا وقد أنكر المؤرخ كالكا رنجن هذه الحكاية وجعلها من الحكايات التي لاأصل لها [11]

المبحث الثاني: شير شاه السوري: الملك شير شاه من مدير إقطاع أبيه إلى ملك الهند:

قد منح لشير شاه السوري الذهن الثاقب والقريحة الوقادة، فسرعان ما تجلت مواهبه البارزة وقدراته الفائقة، ففرحا بجدارته وقدراته الإدارية، أو قصدا للحفاظ على إقطاعه، عينه أبوه للإشراف عليه، والقيام بإدارته عام 1518م، فأحسن وأجاد في القيام بالإدارة، ونجح في النهوض به بقدراته الفائقة ومواهبه البارزة، وقام بإصلاحات في جميع النواحي، في الزراعة والعسكرة والقيام بالأمن والسلام، والمنع من الظلم والجور، حتى صار أهلها صغارا وكبارا، رجالا ونساء، كراما ولئاما يعيشون فرحين

مسرورين راغدين هانئين وساد المجتمع الأمن والسلام وانتهى الظلم والاعتداء، وقام بتوسيع إقطاع أبيه حتى تضاعفت حدوده ضعفين، ولما عاد أبوه وسمع جنوده يثنون على شيرشاه على جدارته وقابليته، ورأى بنفسه ما شاع في المجتمع من الأمن والسلام والرخاء والثراء تملكه الفرح والسرور وتقوت بينه وبين ابنه أواصر المحبة والمودة وصلة الأب والابن حتى قال في فرط المحبة إنه سوف يشرف على الإقطاع مادام حيا ولكن لم يدم هذا الجو زمنا طويلا حيث اشتعلت نيران الحقد والحسد في قلب زوجة أبيه وأصرت على أن ينقل حسن خان الإقطاع إلى ولدها إسماعيل ففتن بحبها وأراد ما أراد ولماشعر شير شاه بإرادة أبيه قدم الاستقالة، وذهب إلى آغره 1522م،[12] ودخل في خدمة دولت خان، أحد الأمراء في محكمة القضاء للسلطان إبراهيم اللودي[13]، وأعطاه السلطان إبراهيم اللودي إقطاع أبيه بعد ما توفي سنة 1525م، ولم يتمكن سليمان من المقاومة فاستولى شير شاه السوري على إقطاع والده مرة ثانية وتصالح مع السلطان محمد صاحب بيهار وتقرب إليه وانغرس الود والإخلاص في قلوبهما ثم حل الخريف ودارت الحرب بينه وبين محمد، وانهزم شيرشاه وحرم من إقطاع أبيه مرة ثانية وتقرب إلى جنيد برلاس الذي كان واليا على مدينة كڑه (Kara)[14] وما والاها من البلاد من قبل بابر شاه التيموري، وهو الذي عرضه على بابر شاه التيموري فدخل في خواصه ولازمه مدة ثم عاد إلى بيهار والتحق بالسلطان محمد ولبث معه إلى وفاته ولما تولى ابنه جلال خان صار صاحب الأمر في مهمات الدولة حتى استولى على تلك الدولة ودفع جلال خان، وبعد أن اتفق الناس على ولاية محمود شاه بن سكندر شاه اللودي على بيهار، اضطر شير شاه إلى الخضوع له، في هذه الأثناء انهزم محمود شاه فاستولى شير شاه على ولاية بيهار مرة ثانية واستولى على بنغال فعاد همايون شاه إلى بنغال، واستولى عليها وأقام بها ثلاثة أشهر وترك جهانغير قلي أحد أمراء العساكر متوليا عليها وغادر إلى آغره لدفع أخيه هندال مرزا، فلما وصل إلى شوسه لقيه شيرخان ودار بينهما القتال الشديد وانهزم همايون خان، ثم ذهب إلى بنغال ودفع جهانغير

قلي ولقب نفسه شير شاه ثم اتجه إلى آغره وهزم همايون خان مرة ثانية في ناحية قنوج ففر إلى لاهور طارده شيرشاه حتى أخرجه إلى منطقة السند ثم إلى أفغانستان واستولى شير شاه على الهند.[15]

المبحث الثالث: لمحات في حكومة شير شاه السوري

كان الملك شير شاه السوري يتمتع بحظ وافر من أساليب القيادة والسيادة والقيام بمهام الدولة وكانت لديه معرفة تامة وقابلية لإرضاء الرعايا وتيسير الأمور لهم والفوز بمودتهم وحبهم وإخلاصهم له ثم الحكم عليهم بما حصل على تجربة وافرة في السنوات التي قضاها عند السلاطين والأمراء والملوك، وبما واجهه في أيامه البدائية من الصعوبات والمشاق مما جعل له عظام الأمور تصغر وشدادها تسهل، وها أنا أذكر بعض ما أبدع الملك شير شاه السوري خلال سلطته في الهند من الأنظمة والقوانين والإدارة على أسلوب جديد، وهي مهدت الطرق للملوك الذين جاؤوا بعده لتدبير نظام الحكومة وساعدتهم على القيام بمهام الدولة.

الإدارة المدنية:

قسم الملك الأرض المحروسة على أيالات، والأيالة على متصرفيات والمتصرفيات على عمالات، فقسم ماكانت تحت سيطرته من الآراضي على ستة عشر ومئة عمالة، وولى واحدا من الأمراء لينوب عنه في جميع الأمور في كل عمالة ، والعامل الذي سماه "شقدار"، والخازن الذي سماه "فوطه دار"، وكاتبين أحدهما العارف باللغة الهندية والآخر باللغة الفارسية كما عين أمينا لفصل القضاء بين الناس أو بين الملك ورعاياه في حدود الأرض وسماه "المنصف"، وولى في كل متصرفية أميرا من أمرائه ينوب عن السطان في تلك المتصرفية وسماه "فوجدار" وواحدا من الأمراء يرفع إليه أمر العمال وسماه "صدر شقدار" وأميرا يرفع إليه أمر المنصفين وسماه "صدر المنصف"، وولى على كل أيالة واحدا من كبار الأمراء ينوب عن السلطان ويرفع إليه أمرهم جميعا، ويرفع إليه أمر العساكر في تلك الولاية. وحذرا من الظلم على الرعية أو خوفا من خيانة الموظفين كان ينقل

الموظفين والأمراء والعمال في كل سنة أوكل سنتين كما قام بإقامة نظام التجسس الفعال حتى يعرف كل ما يحدث في بلاده.

الإدارة العسكرية:

قد نجح شير شاه في تنظيم جيش عظيم، وكان يوظف الجنود بنفسه ويعين رواتبهم حسب مواهبهم وقدراتهم ويعطيهم الرواتب بشكل النقود، وقد وضع عدة قوانين في هذا المجال نذكرها بالإيجاز فيما يلي:

- قانون الكي(سماه بـ"داغ") والتصحيحة: "وهو أن يعرض الأمراء عساكرهم على عرض الممالك فيحمى الحديد في النار ثم يكوي بها الأفراس"[16].
- قانون الحلية: وهو تحرير أسماء الفرسان وأوطانهم وحليتهم وطول قامتهم وأعمارهم وما يختص بهم من الخطوط والسمات في دفتر خاص لها.
- أمر بتوزيع العساكر في بلاد وعين لها المعسكر في مقامات عديدة.
- ألزم على العساكر أن يبنوا القلاع من الطين في كل منزل إذا أرادوا الخروج إلى القتال أو انتقلوا من معسكر إلى معسكر آخر.
- أمر العساكر بعدم استئصال الزروع في حال النقل والحركة، وقرر التعزير الشديد في ذلك.
- وأمر بإدراك نقصان الزروع إن وقع القتال فيها والمعاوضة به.
- أمر بعدم أسر أحد من الرعية في القتال.

إدارة عائدات الأراضي:

إن عملية ضبط إدارة العائدات الحكومية بدأها الملك شير شاه، فأمر أول ما أمر بمسح الأراضي ومقياسها وقام بتحديد الضرائب على الإنتاجات الزراعية، وكان يأخذ ثلث ما تنبت الأراضي المزروعة، وكانت هذه الضرائب تدفع على شكل النقود أو الغلات.

التجارة:

أبطل الملك شير شاه المكوس الكثيرة لترويج التجارة وتشجيع التجار وقد خلقت هذه المكوس عراقيل في سبيل ازدهار التجارة، فسهل الأمر ولم يكتف بذلك فحسب بل إنه بنى الشوارع ذات الأشجار المثمرة على جنبيها لكي يستظل بها التجار ويسهل لهم الذهاب والإياب ونقل البضائع التجارية، ووفرت للمارين بها تسهيلات الطعام والشراب والسكن وفيما يتعلق بتوفير التسهيلات فلم يفرق بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى، فراجت التجارة، وشاع الثراء والترف في أنحاء الهند.

تعريف بنظام نقدي فعال:

الملك شيرشاه "هو أول من أصلح نظام النقود"[17] وعرف بنظام عملة بثلاثة معادن (tri-metal coinage system) التي عرفت فيما بعد بنظام العملة المغولية (Mughal Coinage System) وسك عملة من الفضة أيضا سميت بروبية وتم استخدام هذا الاسم للعملات القومية في باكستان والهند ونيبال وسري لانكا وإندونيشيا وموريشوس ومالديب وغيرها من البلاد.[18]

بناء الطرق وتوسيعها:

قام شير شاه بتوسيع شبكة الشوارع لربط مملكته بالأماكن المهمة حتى يسهل الذهاب والإياب للعساكر والتجار والمسافرين الآخرين، وأطول هذه الشوارع يسمى بالشارع الأعظم (سرك أعظم) أو الشارع الملكي (بادشاهي سرك) ثم استبدل اسمه بشارع "جراند ترنك رود" في زمن الإنكليز.[19] وهذا الشارع أطول شوارع آسيا الذي يمتد حوالي 1500 كيلو متر من بنغال الشرقية إلى أفغانستان. ومن أهم بعض الشواع الطويلة عداه ما يلي:

1. شارع من آغره إلى برهان فور في الدكن.
2. شارع بين آغره وجودفور (Jodhpur) وتشتور (Chittor) في راجفوتانا (Rajputana)

3. شارع بين لاهور وملتان .

إنشاء و تطوير أول نظام بريدي:

المباني التي تم تأسيسها على جوانب الشوارع كانت تستخدم كمكاتب البريد، وأسس شيرشاه نظام البريد المحمول أو نظام البريد الخاص الحصاني (Mounted Post or Horse Courier System)، ومن الجدير بالذكر أن خدمة البريد لم تكن خاصة لصالح الحكومة بل في صالح التجار أيضا، وهي أول مرة توفرت خدمة البريد لعامة الناس وتستخدم للاتصالات التجارية والأعمالية، وقام برباط على كل ميلين وعين في كل رباط فرسين للبريد.[20]

التسامح الديني:

قدم شير شاه نموذجا مثاليا للتسامح الديني، فعامل كلا من الهندوس والمسلمين معاملة سوية، بحيث أن أعطي الهندوس فرص العمل في الوظائف الحكومية، وتولى الهندوس المناصب العليا في العساكر مع المسلمين، وكان في عساكره الجنود المشاة وحاملو البنادق الهندوس، وكان من أعظم قواد الجيوش بريم جيت غور،[21] وقد ذكر المؤرخون أنه كان في عساكره كتيبة كاملة من راجبوت وهم الهندوس، كما كانت تقام مائدة خاصة للهندوس في دور المسافرين، وفر الملك شير شاه حرية كاملة للأديان المختلفة وأعطى فرصا سواسية جميع أهالي الهند بصرف النظر عن الأديان والطبقات.[22]

العدل :

كان الملك شير شاه عادلا كريما، رحيما منصفا، كان يعامل معاملة سواسية مع أهله وأقاربه وغيرهم، وبهذا الشأن ذكرت واقعة في كتاب "سير المتأخرين" وهي أن ابنه الأكبر عادل خان مر راكبا على الفيل بشارع آغره، إذ وقع نظره على امرأة تاجر كانت تغتسل عارية في بيت منخفض السور، ورمى إليها شيأ كان يمضغه، وكانت المرأة عفيفة صالحة، وأرادت أن تهلك نفسها بسبب الخجل لما رآها غيرها عارية، فمنعها زوجها ورفع الأمر إلى الملك فأمر الملك بأن يحضر

الفيل وأن يركب زوجها عليه ثم يفعل مع زوجة ابنه مايفعل هو، وكان الملك مصرا على أمره وقضائه ولم يقبل طلب العفو الذي قدمه الأمراء والوزراء، وقال عندي أهلي وغيره سواء على عتبة القضاء حتى رضي التاجر وامتنع عن أخذ الثأر.[23]

وفي الختام يجب علينا أن نعترف أن فضل تأسيس الإدارة المدنية في الهند يرجع إلى الملك شير شاه السوري وحتى اليوم نستفيد من بصيرة إداراته المدنية وتدابيره العسكرية وإصلاحاته التجارية وضوابطه الآراضية وكذلك له فضل كبير في الشؤون الأخرى من أمثال التسامح الديني وبناء الطرق وتوسيعها وسك العملات وإنشاء خدمة البريد وغرس الأشجار المثمرة والأشجارة المورقة الأخرى لكي يستظل بها المارون ويتمتعوا بثمراتها المتنوعة في أثناء السفر. في الواقع إنه قدم في ذلك العصر رؤية جديدة وبصيرة متقدمة في نظام الحكومة للأجيال القادمة في القارة الهندية.

الحواشي:

---

[1] – الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الحسني، دارابن حزم، ص 4/353

[2] – سير المتأخرين، مولوي جراغ دين محمود، ايم فرمان على ايند سنز بكسيلرز، موهن لال رود، لاهور،ص 33– 32

[3]– البروفيسور كالكا رنجن قانون جو مؤرخ هندي شهير ولد في 1895م في قرية قانون جو بارا (Kanungopara Boalkhali, Upazila) في مديرية فيتاجونج في أسرة إقطاعية، حصل على البكالوريوس 1915م من كلية راج شاهي والماجستير 1917م من جامعة كولكاتا وحصل على شهادة الحقوق 1918م والدكتوراه على شير شاه سوري وعصره (Sher Shah and His Times) وتوفي في عام 1972 في مدينة لكناؤ.

[4]– شيرشاه اور اس كا عهد، كالكا رنجن، مترجم: رام شري شرما، ترقي اردو بيورو، نيودلهي، 1981م ص 66–72

[5] -http://india-historyofournation.blogspot.in/2012/03/lion-king-of-india-sher-shah-suri.html

[6] -http://www.britannica.com/EBchecked/topic/539997/Sher-Shah-of-Sur

[7]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي الحسني، دارابن حزم، 4/353

[8] - شيرشاه اور اس كا عهد ص 7

[9] - شير شاه اور اس كا عهد ص87

[10] -سير المتأخرين، ص 33

[11] - شيرشاه اور اس كا عهد ص135-136

[12] - شيرشاه اور اس كا عهد ص 95-126

[13]أخر ملوك الهند المسلمين من أسرة لودهي تولى الحكم 1510 م في آجرا وظل في الحكم 16 سنة.

[14]- The Cambridge History of India, Volume 3, p,47

(مدينة كَرُه الآن هي قرية صغيرة حوالي 8 كم في شمال جراند ترنك رود، 66 كم في شمال غرب اله آباد)

[15]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، 4/353، وسير المتأخرين 32-36

[16]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، 4/354

[17] - الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص 355 ج 4

[18] - http://india-historyofournation.blogspot.in/2012/03/lion-king-of-india-sher-shah-suri.html

[19]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص 355 ج 4

[20]- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام 355-4/354

[21] - هندوستان كي عهد ماضي مين مسلمان حكمرانون كي مذهبي رواداري، صباح الدين عبد الرحمن، جامعة أعظم كره، 1983م ص 2/8

[22] - المصدر السابق، ص12-2/8

[23] – سير المتأخرين ص 38-37

المصادر والمراجع:

- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام/ العلامة عبد الحي الحسني/ دارابن حزم، بيروت، لبنان/ الطبعة الأولى 1999م
- سير المتأخرين/ المولوي فراغ دين محمود الجهوي/ ايم فرمان علي ايند سنز بكسيلرز، موهن لال رود، لاهور
- شيرشاه اور اس كا عهد/ كالكا رنجن قانون غو/ ترجمة: رام آشري شرما، ترقي اردو بيورو، نيو دلهي/الطبعة الأولى 1982م
- الهند في العهد الإسلامي / العلامة عبد الحي الحسني/ دار عرفات (الهند) / 2001م
- هندوستان كي عهد ماضي مين مسلمان حكمرانون كي مذهبي رواداري/ صباح الدين عبد الرحمن/ جامعة أعظم كره/ الطبعة الأولى 1983م
- مختصر تاريخ هند / سيد أبو ظفر الندوي/ دار المصنفين شبلي اكيدمي أعظم جراه
- *India Old and New*/Sir Valentine Chiral /Macmillan and Co., Limited, ST. Martin's Street London/1921
- *History of India*/ CF DE LA Fosse, M.A., Oxon/ Macmillan and Co., Limited, ST. Martin's Street London/1918 Top of Form Bottom of Form
- *The Cambridge History of India*, Volume 3 Edited by Sir Wolseley Haig, Cambridge University Press 1928,

المواقع الإلكترونية:

- http://anjanadesigns.blogspot.com/2014/07/sher-shah-suri-lion-king-of-india.html
- http://www.britannica.com/EBchecked/topic/539997/Sher-Shah-of-Sur

- http://www.facts-about-india.com/sher-shah-suri-facts.php
- http://india-historyofournation.blogspot.in/2012/03/lion-king-of-india-sher-shah-suri.html